

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الماء قِوَامُ الحَيَاةِ

الخطبة الأولى:

الحمدُ لله الَّذي جعل من الماء كُلَّ شيءٍ حَيٍّ، خلق الإنسانَ من نُطفَةٍ فإذا هو حَيٌّ، فأحيا بالماءِ كُلَّ حَيٍّ، ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ﴾ [النور: ٤٥]، أشهدُ ألا إلهَ إلا اللهُ أَنزَلَ الماءَ من السَّمَاءِ، وامتنَّ على أهلِ الأرضِ بما يَشْرَبُونَ، وأشهدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ ورسولُهُ، وخيرُهُ من خلقِهِ، وأشرفُ سُلالةٍ خُلِقَت من ماءٍ، فَصَلَّى اللهُ عليه، وعلى آلِهِ وصحبِهِ أَجمعينَ.

أَمَّا بَعْدُ؛ فاتقوا الله -عبادَ اللهِ- لعلَّكم ترحمونَ.

أيُّهَا المسلمون: يَنْعَمُ المَرْءُ في النِّعَمِ، وَيَتَقَلَّبُ في الطَّافِهَا، فيألفُ طيِّبَهَا وهَنَاءَهَا، ويعتادُ وجودَهَا واستمرارَهَا؛ حتَّى يرى أَنَّمَا حقٌّ من حقوقِهِ الَّتِي لا تتحوَّلُ عنه، ومُلْكًا من أَملاكِهِ الَّتِي لا يظنُّ أَنَّمَا تَغيبُ منه.

ومع طولِ إلفِ العبدِ للنِّعْمَةِ، يخفى عنه قدرُهَا، ويضعفُ في نفسه استشعارُ فضلِهَا؛ مع أَنَّ كُلَّ نعمةٍ تحيطُ به، وتجري عليه في ليله ونهاره، فلها وزنها في حياتِهِ، وأثرُهَا في بقائه وراحته، وإن صغُرَتْ في عينِهِ؛ فلا يعرفُ المَرْءُ قيمةَ النِّعْمَةِ حقَّ المعرفةِ إلا حينَ يفقدُهَا، ولا يستشعرُ عظيمَ فضلِهَا إلا حينَ يحولُ بينه وبينَهَا حائلٌ؛ وحينئذٍ يعلمُ أَنَّ ما كان يراه أمرًا معتادًا، إِنَّمَا هو فضلٌ من اللهِ متجدِّدٌ، ونعمةٌ تستوجبُ الحمدَ والشُّكرَ.

دخلَ ابنُ السَّمَّاكِ يومًا على هارونَ الرَّشيدِ، فقال له هارونُ: عِظْنِي. ثمَّ استسقى هارونُ ماءً، فأُتيَ بقلَّةٍ فيها ماءٌ باردٌ، فقال له ابنُ السَّمَّاكِ: يا أميرَ المؤمنين، أَرَأَيْتَ إِنْ مُنِعَ عَنْكَ هذا الماءُ، وتعدَّرَ عليك الوصولُ إِلَيْهِ، فبكم كنتَ تشتري هذه الشُّرْبَةَ؟ فقال هارونُ: بنصفِ مُلكي.

فقال: اشربْ هنيئًا.

فلَمَّا شربَ قال له: يا أميرَ المؤمنين، أَرَأَيْتَ لو مُنِعَتْ خُرُوجَ هذه الشُّرْبَةِ من بدنِكَ، فبكم كنتَ تشتري خُرُوجَهَا؟ قال: بنصفِ مُلكي.

فقال ابنُ السَّمَّاك: يا أميرَ المؤمنين، إِنَّ مُلْكًا قِيَمَةُ نَصْفِهِ شَرْبَةُ ماءٍ، وقِيَمَةُ نَصْفِهِ الْآخِرُ بَوْلُهُ، خَلِيقٌ أَلَّا يُتَنَافَسَ فِيهِ!

فبكى هارونُ الرَّشيدَ.

هذه شَرْبَةُ ماءٍ واحدةٍ؛ نعمةٌ حاضرةٌ بين أيدينا، يجدها المرءُ متى أراد، ويشربها في لحظات، حتَّى لا يكادُ يستشعرُ عَظِيمَ فضلِ اللهِ عليه بها.

هي في حالِ وجودِها تبدو سيرةً زهيدةً، ولكنَّها عندَ الفقدِ عَظِيمَةُ القدرِ؛ فلو حيلَ بين الإنسانِ وبينها، لبذلَ في سبيلِ الحصولِ عليها ما يملك.

نعمةُ الماءِ نعمةٌ قائمةٌ بين أيدينا، متجدِّدةٌ في حياتنا، فمن ذا الَّذي يعرفُ لهذه النِّعمةِ قدرَها؟ ومن ذا الَّذي يقومُ لله بحقِّ شكرِها؟ قال ﷺ: «إِنَّ اللهَ ليرضى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرِبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا» [أخرجه مسلم]، شَرْبَةُ لا نكادُ نلتفتُ إليها؛ كيف يبلغُ بها العبدُ رضا ربِّه إذا حمده عليها، وعرفَ فضلَه فيها؛ ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ [الواقعة: ٦٨-٧٠].

ماءٌ عَذْبٌ زُلَالٌ، طَهُورٌ مباركٌ؛ أنزله اللهُ من السَّمَاءِ بقدرٍ معلومٍ، وعلى مقدارٍ تقومُ به مصالحُ العبادِ؛ فلا زيادةٌ تُفسدُ، ولا نقصٌ يهلكُ، وإِنَّمَا تَقْدِيرٌ مُحْكَمٌ وَتَدْبِيرٌ حَكِيمٌ، ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١٨]، أسكنه اللهُ في الأرضِ، وأجرى منه العيونَ والأنهارَ، وأخرجَ به الزَّروْعَ والثِّمارَ، ويسرُّ للعبادِ أسبابَ الوصولِ إليه والانتفاعِ به؛ فكان الماءُ قِوَامَ الحَيَاةِ، وأصلًا من أصولِ معاشِ النَّاسِ والدَّوابِّ والنباتِ.

﴿وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾، فكما أنعمَ اللهُ بإنزالِ الماءِ وإبقائه، فهو القادرُ على ذهابِه وحبسِه، ولو شاءَ لأصبحَ هذا الماءُ الَّذي نراه اليومَ متاحًا قريبًا، عزيزًا بعيدَ المنالِ، ولتحوَّلتِ الحَيَاةُ كُلُّها إلى ضيقٍ وعناءٍ.

فنعمةُ الماءِ ليست مجردَ شَرْبَةٍ يشربها العطشانُ، وإِنَّمَا هي نعمةٌ عَظِيمَةٌ تتعلَّقُ بها حياةُ الخلقِ ومصالحُهم؛ فجديرٌ بالعبدِ أن يعرفَ فضلَ ربِّه فيها، وأن يحمده عليها، وأن يحذرَ كفرائها والإسرافَ فيها.

قال صالح بن الإمام أحمد - رحمه الله تعالى -: كان أي كلما أخرج الدلو من البئر مملوءة حمد الله، فقلت له في ذلك، فقال: (يا بُنَيَّ، أما سمعت الله ﷻ يقول: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ [الملك: ٣٠]؟ إن غار الماء في بطن الأرض، وابتعد عن أيديكم، وعجزتم عن طلبه وإخراجه، فمن ذا الذي يقدر على الإتيان به غير رب العالمين؟).

هكذا كانوا يرون النعمة بعين الاعتبار، ويستشعرون فضل المنعم، فلا تمر بهم النعمة مر الغافلين، بل يزدادون بها حمداً وشكراً لله رب العالمين.

عباد الله: وإذا كان الماء قوام الحياة، وسبباً من أسباب بقاء الخلق، فقد جاءت الشريعة بحفظ هذه النعمة، والنهي عن العبث بها، وعن منع الناس من الانتفاع بما جعله الله حقاً مشتركاً بينهم. قال ﷺ: «الْمُسْلِمُونَ شُرَكَاءُ فِي ثَلَاثٍ: فِي الْكَلَالِ، وَالْمَاءِ، وَالنَّارِ» [أخرجه أحمد وغيره]، فالماء نعمة جعل الله فيها نفعاً للناس، وليس من شكرها أن يستأثر بها أو تمتنع عن المحتاجين. قال ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ - وَذَكَرَ مِنْهُمْ - رَجُلٌ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مَاءٍ بِالطَّرِيقِ، فَمَنَعَهُ مِنْ ابْنِ السَّبِيلِ» [متفق عليه]، تحذير ووعيد شديد لمن منع فضل مائه عمّن يحتاج إليه؛ ليكون العبد شاكراً للنعمة في نفسه، باذلاً فضلها لغيره.

ولعظم هذه النعمة، وجليل نفعها وأثرها، فإن على المسلم أن يعرف قدرها، وأن يتعامل معها بما يليق بها، وأن يحذر الإسراف والتبذير فيها؛ فإن من شكر النعمة أن تُصان ولا تُبدد، وأن يُنتفع بها من غير مجاوزة ولا إسراف؛ ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

وإذا كان الماء طهوراً، وجعل الله به الطهارة التي لا تصح الصلاة إلا بها؛ فإن ذلك لا يبيح الإسراف فيه، ولا يرفع عن العبد مسؤولية المحافظة عليه؛ فقد كان ﷺ، وهو عبد الناس وأحرصهم على الطهارة، يتوضأ بالمُدِّ، ويغتسل بالصَّاع إلى خمسة أمداد؛ قال أنس رضي الله عنه: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَغْتَسِلُ بِالصَّاعِ إِلَى خَمْسَةِ أَمْدَادٍ، وَيَتَوَضَّأُ بِالْمُدِّ» [متفق عليه].

فتأملوا هدي نبيكم ﷺ في استعمال الماء؛ فمع كمال طهارته، وكثرة عبادته، لم يكن مسرفاً في استعماله، بل كان عدل الناس وأحسنهم اقتصاداً؛ فكان يتوضأ بالمُدِّ، وهو ما يُعادل ملء كفي الإنسان تقريباً، ويُقارب نصف لتر، والصَّاع أربعة أمثاله؛ فكيف يليق بالمسلم أن يُسرف في استعمال

الماء لِمَجْرَدِ وفِرتِه وسهولَةِ الحصولِ عليه؟ ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۚ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٧].

ومن شُكْرِ هذه النِّعمَةِ أن نَعْرِفَ حُرْمَةَ ما جُعِلَ مِنْهُ وَقْفًا لِلْمُسْلِمِينَ، ولا سِيما الماءُ الَّذِي يُنْزَلُ في المساجِدِ ودورِ العبادَةِ؛ فَإِنَّ هذا الماءَ لم يُجْعَلْ للعبثِ والإسرافِ، ولا لِيَأْخُذَ مِنْهُ الْإِنْسَانُ فَوْقَ حاجَتِهِ، وإِنَّمَا جُعِلَ قُرْبَةً لِلَّهِ، ونَفْعًا لِعِبَادِ اللَّهِ؛ فَكَيْفَ يَلِيقُ بِالْعَبْدِ أَنْ يَتَسَاهَلَ في مالٍ أَوْقَفَهُ صَاحِبُهُ لِلَّهِ؟! **اللَّهُمَّ أَوْزِعْنَا شُكْرَ نِعْمَتِكَ**، وأحفظها لنا، وأجعلنا لك فيها من الشَّاكِرِينَ.

أَقُولُ ما تَسْمَعُونَ، وأستغفر الله العظيم لي ولكم فاستغفروه وتوبوا إليه إن ربي لغفور رحيم.

الخطبةُ الثانية:

الحمدُ لله وكفى، وصلاةً وسلاماً على نبيه الذي اصطفى، وعلى آله وصحبه أجمعين.
أيُّها المسلمون: الماءُ قِوَامُ الحياة؛ به تحيا الأرضُ بعد موتها، وتخضرُّ بعد جديها، وينبتُ به الزُّرْعُ والثمار، فتقومُ به حياةُ الإنسانِ والحيوان؛ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [الحج: ٦٣]، ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥].

ولئن كان الماءُ مصدرًا لحياة الأبدان، فإنَّ ثمةَ مصدرًا آخرَ من مصادرِ الحياة، هو أسمى وأعظم، وأعزُّ وأكرم؛ به تحيا القلوبُ والأرواح، وتستقيمُ الحياة، وتُدركُ النِّجاة، ويُسلِكُ طريقُ الفلاح.
إنَّه الوحيُ المنزَّلُ من ربِّ العالمين؛ فهو ماءُ القلوبِ وغذاءُ الأرواح، ومَعِينُ الهداية، ومُعْتَصِمُ النِّجاة؛ فكما أنَّ البدنَ يَذْبُلُ وَيَهْلِكُ إذا حُرِمَ الماء، فكذلك القلبُ يَذْبُلُ ويموتُ إذا حُرِمَ الوحي؛ ﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأَخْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

فالوحيُّ روحُ القلوب، ونورُ الأبصارِ والبصائر، ومَعِينُ الهداية؛ مَن ارتوى منه حيَّ قلبه، واستنارت بصيرته، واستقام سبيله، ومَن أعرضَ عنه أو أعرضَ قلبه عن هداه، عاشَ حياةَ الغافلين، وسلكَ سبيلَ الضَّالِّين؛ ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: ٥٢].

لقد أخبر النَّبِيُّ ﷺ عن امرأةٍ بغيٍّ، غفر الله لها؛ لما سقت كلبًا اشتدَّ به العطش، فرحمته وسقته الماء، فكان في إحسانها إليه سببٌ لمغفرة الله لها؛ فإذا كان هذا فضلُ الإحسانِ إلى حيوانٍ؛ فما أعظمَ فضلُ الله على من كان سببًا في هداية إنسان.

وفي صحيح البخاري أنَّ النَّبِيَّ ﷺ عادَ غلامًا يهوديًا كان مريضًا، فدعاه إلى الإسلام، فنظر الغلامُ إلى أبيه، فقال له أبوه: أطع أبا القاسم، فأسلمَ الغلام، فخرج النَّبِيُّ ﷺ وهو يقول: «الحمدُ لله الذي أنقذه من النار».

فكما يُسارعُ أهلُ الإحسانِ إلى بذلِ الماءِ للعطاش، وحفرِ الآبارِ للواردين، وإيصالِ هذه النِّعمةِ إلى مَن يحتاجُ إليها؛ فليكن لهم من هذا الباب نصيبٌ في بذلِ أسبابِ الهداية، ونشرِ العلم، ودعوةِ

الضَّالِّينَ، ودلالةِ الحائرينَ، وكفالةِ الدُّعاةِ، ونشرِ كلمةِ الحقِّ؛ فَإِنَّ إحياءَ القلوبِ بالوحيِّ أعظمُ من إحياءِ الأبدانِ بالماءِ. قال ﷺ لعليٍّ رضي الله عنه: «فواللهِ لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً، خيرٌ لك من أن يكونَ لك حُمْرُ النَّعَمِ» [متفقٌ عليه].

فليكن للمسلم من هذه التجارةِ الرَّابحةِ نصيبٌ، وليحمل همَّ هدايةِ النَّاسِ وتعليمهم، فإنَّ أعظمَ ما يُبذلُ في سبيلِ الله أن تُسقى القلوبُ من معينِ الوحيِّ، فتحيَا بعد موتها، وتستنيرَ بعد ظلمتها، وتنجو من غيِّها وضلالها.

اللَّهُمَّ احفظْ علينا ديننا، واحفظْ لنا دُنيانا، وأعدنا من شرورِ أنفسنا، واكفنا بحلالِكَ عن حرامِكَ، وبفضلِكَ عَمَّن سِوَاكَ.

اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي نِعَمِكَ وَأَوْزِعْنَا شُكْرَهَا، وَجَنِّبْنَا الْإِسْرَافَ وَالتَّبَذِيرَ فِي كُلِّ أَمْرٍ.
اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ مُضِلَّاتِ الْفِتَنِ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ، وَدَرَكِ الشَّقَاءِ، وَسُوءِ الْقَضَاءِ، وَشَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ.

اللَّهُمَّ احفظنا بالإسلام قائمين وقاعدين وراقدين، ولا تُشِمِتْ بنا عدوًّا ولا حاقداً.
اللَّهُمَّ أعِزَّ الإسلامَ وانصرِ المسلمين، وأذلَّ الشُّركَ والمشركين، واجعلْ هذا البلدَ آمناً مطمئناً، وسائرَ بلادِ المسلمين.

اللَّهُمَّ احفظْ بلادنا، وأدم عليها أمنها وإيمانها، واحفظْ جنودنا، وأمن ثغورنا، واحفظْ علينا نِعَمَكَ، وادفعْ عنا الفتنَ والمِحنَ وسائرَ البَلَايا.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي الْأَوْطَانِ وَالدُّوَرِ، وَأَصْلِحْ الْعُلَمَاءَ وَالْأُئِمَّةَ وَالْقُضَاةَ وَمَنْ وَلِيَّتْهُمُ الْأُمُورَ، واجعلْ ولايتنا في عهدٍ مَنْ خَافَكَ وَاتَّقَاكَ وَاتَّبَعَ رِضَاكَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اغفرْ للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات.

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ، وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.